مختصر خطبة صلاة الجمعة 6/ 2/ 2026 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(قيم إنسانية – الحرية)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار: «مَكَارِمَ الأخلاق».

خُصَّ الإنسان من دون الكائنات بالاستخلاف في الأرض، بما وهبه الله تعالى من عقل وإرادة، وحرية ومسؤولية، ومنهج إلهي منظّمٍ لحياته.

فالحرية هبةٌ من الله تعالى وفطرة فطر الناس عليها، خلقهم أحراراً وهداهم السبيل وأعلمهم بأنهم مسؤولون ومجزيون باختياراتهم الحرة، إن خيراً فخير وإن شر فشر.

وجاء الإسلام لينشر فضيلة الحرية بين الناس فيخرجهم من عبادة الأشياء والأهواء والأشخاص والتذللِ لها؛ إلى عبادة رب الأرض والسموات، وأعلمهم بأن شهادة التوحيد فيها إفرادُ العبودية لله الخالق وحده، وتحررٌ من كل عبودية لسواه.

ففي الاعتقاد لم يبح لأحد أن يُكْرِه أحداً على عقيدة، على ألا يصبح الدين ألعوبة في أيدي العابثين.

ودعا الإسلام لحرية التفكير وترك اتباع الظنون والأوهام وتقليد الكبراء والرؤساء عن غير تبصر وتفكر، ومن حرية التفكير رأينا الاختلافات العلمية مسطرة في كتب شتى العلوم.

وتقيَّد الحرية بعدم الإضرار بالغير ومثله عدم الإخلال بالقوانين المرعية لكيلا تتحول الحرية إلى فوضى وإفساد، فالحرية المطلقة التي لا قيود عليها ترادف الفوضى، ولا حرية مع الفوضى.

فالحرية الاقتصادية محمودة ولكن على ألا تضر بالصناعة الوطنية وألا تجلب لأسواقنا بضائع الشركات الداعمة للأعداء وعلى رأسهم العدو الصهيوني المجرم، وحرية الرأي والتعبير محمودة ولكن على ألا تمس عقائد الناس أو خصوصياتِهم أو تخلُّ بآدابهم أو بالنظام العام في البلد، والحرية السياسية محمودة ولكن في إطار المصلحة العامة للمجتمع، وحرية العمل مرعية ولكن بما لا يضر بمصالح الناس العامة أو الخاصة، والحريات الشخصية مكفولة ولكن في الحدود التي يقررها القانون.

وهكذا يمكننا القول إن ضوابط ممارسة الحرية نوعان: ضوابط مطلقة وهي حماية النظام العام والآداب العامة، وضوابط نسبية وهي المطبقة في بعض الظروف، وبالإجمال: أنت حر في إطار عبوديتك لله تعالى.

والحمد لله رب العالمين